

## تقديم المؤلف

الكتابة في تبسيط العلوم والثقافة العلمية مهمة لكل مجتمع ينشد التقدم، خاصة في مجتمع مثل مجتمعنا. ولقد تصديت للكتابة في هذا المجال منذ عقود. على أنه يراودني الآن حلم الكتابة في فلسفة العلوم أكثر من تبسيطها. لقناعتي أن فلسفة العلوم أمضى في التأثير على المجتمع والسعى به نحو الأفضل.

الفيلسوف والفلكي الأمريكي الفيتنامي الأصل «ترين كسوان ثوان Trinh Xuan Thuan» يقول في وصفه للطبيعة والكون: ليست الطبيعة صامتة، بل هي ترسل موسيقى رخيمة، ولكنها لا تكشف لنا عن سر هذه النعمات وهذا الجمال إلا بالعلم الحر. فأهلا بالعلم الحر في الزمن الحر والمكان الحر لخدمة الإنسان الحر. إن للعلم الآن اليد العليا بل تكاد تكون اليد الوحيدة في تطور الحياة على الكرة الأرضية. فلا بد أن يستجيب البشر لسطوة العلم ويتركوه ينظم حياتهم ويغير من غرائزهم وتقاليدهم للأفضل. يقول الطبيب والفيلسوف الفرنسي من أصل مغربي «موريس بوكاي Maurice Bucaille»: لقد اكتسب الإنسان حرته من خلال تنازله أو تخليه عن العديد من العقد الغريزية، وكذا التخلي عن الأفكار والعادات والتقاليد التي تضر بالمجتمع.

الكتابة في الثقافة العلمية تعتبر مثل الناقوس الذي يدق لتنبيه المجتمع لأهمية ريادة العلم من أجل مجتمع أفضل. مجتمع يتمتع

بالحرية الكاملة. نحن - الشرقيين - نكون مجتمعاً يختلف عن معظم المجتمعات المتقدمة من سكان المعمورة. نحن نحب ما يكرهه معظم البشر على سطح الأرض، ونحرم ما يحلله أكثر البشر. وما نعتبره جرائم نعاقب عليها بعضنا البعض، وهي ليست بجرائم في المجتمعات الأخرى. فما هي الفروق بيننا وبين باقي مجتمعات العالم. يكاد يكون من غير المسموح في بلادنا الحديث بحرية وبصراحة عن أشياء تخص حياتنا ومجتمعنا لفهم ومعرفة أنفسنا، هناك خطوط حمراء وضعها المجتمع ليحمي نفسه من التغيير خوفاً من المجهول الجديد أو حفاظاً على تخلفه. من ضمن الأشياء التي تساعد على ذلك لغتنا الجميلة، فهي تفتقر إلى المفردات الكافية، خاصة العلمية منها، مما يجعل فهمنا للأشياء قاصراً ومنقوصاً.

كل تلك الخواطر تراودنى حين أبدأ الكتابة، وهل لى أن أدخل معترك كُتّاب التنوير من بوابة تبسيط العلوم، أم أدخله من الباب الطبيعى له كفلسفة يجب على المجتمع أن يفطن لها. أو حتى تكون من خلال رواية يحمل شخصوصها مشعل التنوير. وفي كل الأحوال تظل كتاباتى كلها متأثرة بتخصصى فى الفيزياء الفلكية والفضاء، فهى رؤية جديدة من وجهة نظر فلكية وفيزيائية.

فى كل سفره من سفراتى أحمل معى روايات أدبية عديدة، أقرأها ليعاودنى الحنين والرغبة فى الكتابة الفلسفية العلمية، والبُعد قليلاً ولو مؤقتاً عن الكتابة فى تبسيط العلوم. إننى أشم فى كل رحلة من رحلاتى رائحة كل بلد، وتراب كل بلد، وأشعر بقربى لإنسان هذا البلد، وأرضه وشمسه وروحه، ولا أجد فرقا بين أهل هذا البلد وبينى كإنسان

سوى أنى لم أولد بتلك البلد، بل أجدنى غارقا فى تراثه وتاريخه وحضارته وهى ليست غريبة. وحين تطأ قدمى مطار القاهرة أعود وكأننى ما سافرت ولا تأثرت ولا عايشت آخرين، حتى إنه وخلال بضعة أيام أكون قد نسيت تماما رحلتى هذه وتلك البلاد، وكأننى لم أرها من قبل، ولا يبقى إلا القليل من أوراقى العلمية التى قدمتها هناك أو أوراق علمية أخرى أخذتها من هناك. أشعر أننى أفقد الكثير بعدم كتابتى أثناء وبعد تلك الرحلات، ليس عن العلم فقط. بل عن تلك الشعوب وفلسفتها وعلمها، وعن هذه الحضارات التى سبقتنا أحيانا، أو مازالت تحبو مثلنا فى بدايات الحياة الحرة التى نتمناها. إن غالبية المحظورات فى بلدى مباحة فى معظم بلاد العالم، وكل جميل وممتع فى بلدى محظور أو غير مرحب بعمله. إنسان بلدى يعانى من الغربة أحيانا فى وطنه، وأحيانا أخرى يعانى من كثرة أو هوجة الكذب والكذابين والنفاق والمنافقين.

بعد طوفان ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١<sup>(٤)</sup>، راودنى الأمل طويلا، بل كدت أن أتيقن من قدرة مصر على الخروج من عنق زجاجة التخلف، وخاصة بعد سلوك من قاموا بالثورة فى تنظيف ميدان التحرير بعد الاعتصام، ومطالبتهم بتغيير العادات البالية قبل المطالبة بالعيش والحرية والعدالة الاجتماعية. أسعدنى وجود شباب لا يقل ذكاء وألمعية عن شباب أكبر الديمقراطيات فى العالم، كدت أصدق أن الثورة قد غيرت العقول والتراث البالى المتمكن فى العقول، لكن هذا الأمل بدأ يخفت رويدا. بل راودنى الخوف من أن تكون تلك بدايات لموت نهائى لا رجعة بعده. لكن الأمل مازال بازغا طالما بقى هذا الشباب.

(٤) التواريخ التى سترد فى الكتاب بالسنة الميلادية.

هذا الكتاب عن فرقاء العلم والفلسفة يختلف عن سابقه من مؤلفاتي، فهو يروى تجارب بعض العلماء والفلاسفة الذين أثروا تاريخ البشرية، وكيف كان لهم مناوئون وفرقاء عنهم. وكيف تعامل هؤلاء العلماء والفلاسفة مع منتقديهم من زملائهم أحيانا أو من القادة المدنيين أو الدينيين فى عصرهم أحيانا أخرى. وكيف تغلب الخير والفضيلة على أعدائهما لتستمر البشرية فى النمو والتطور. وفى جزء مهم من هذا الكتاب نراجع الخلافات والاختلافات فى مجتمعنا الحالى وكيف أن التخلف كان له تأثير على تلك الاختلافات.

سوف يكون هذا الكتاب بداية للخروج من القالب القديم فى الكتابة عن العلم وتبسيط العلوم، للكتابة فى موضوعات علمية وفلسفية من وجهة نظر فلكية. ربما كان آخر ما نشر لى، وهو كتاب «أحاديث عن العلم»، الذى صدر ضمن سلسلة «اقرأ» عن دار المعارف المصرية. مقدمة لهذا الخروج، ولكنه مع هذا كان ليس خروجاً بالصورة التى كنت أنشدها. ولعل هذا الكتاب يكون كما وددت ناقوساً يدق للتنبيه للخطر القادم إلى مجتمعنا. ومقارنة بالمجتمعات الأخرى، قبل فوات الأوان.

## المؤلف